المحاضرة 06: جماعة أبولو

تمهيد:

كان لجماعة الديوان دور في تثبيت دعائم التجديد وشد الناس إلى ذلك المذهب الجديد الذي غير ملامح النص الأدبي شكلا ومضمونا، لكن نقدهم المتعصب وخلافهم فيما بينهم وتنظيرهم للشعر في ظل غياب النموذج المتكامل المطالبين بإعطائه أدى إلى موت الجماعة، وكان لزاما على الساحة الأدبية والنقدية أن تدفع بظهور مولود تجديدي جديد يرفع لواء التجديد ويكرس مفاهيمه وأسسه، فظهرت جماعة أبولو كجمعية أدبية نقدية محددة، ومن خلال التسمية –التي تعطي بعدا رمزيا ودلاليا وتاريخيا– نفهم الهدف الأسمى الذي تريد الجماعة الوصول إليه، وهو هدف إنساني تاريخي أولي، يتجاوز اللغة والعرق والزمن، كما أن ألوهية أبولو تعطي للجماعة بعدا ثوريا خارقا ومبهرا ومجددا آملا في تغيير الواقع المزري الذي تعيشه الدول العربية.

﴿ الاجتماع التاريخي لمجلس جمعية أبولو برئاسة خليل مطران بك ﴾
في يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٣٢

1/ نشأة مدرسة أبولو:

جماعة أبولو جماعة أدبية شعرية نشأت في الثلث الأول من القرن العشرين وتحديدا في سبتمبر عام 1932، دعا إليها الشاعر أحمد زكي أبو شادي وأسندت رئاستها إلى أحمد شوقي، نظرا لمكانته المرموقة التي جعلت منه أميرا للشعراء، ولتحمّس شوقي لهذه الرئاسة نظم قصيدة بعنوان "تحيّة أبولّو" يقول ففيها:

أبولو مرحبا بك يا أبولو *** فإنّكِ من عُكاظِ الشعر ظلّ

عُكاظ وأنت للبلغاء سوق *** على جنباتها رحلوا وحلّوا

عسى تأتينا بمعلّقات نروح *** على القديم بها ندل

لعلّ مواهبا خُفيت وضاعت *** تذاع على يديك وتستغلّ

ثم تقلدها مطران بعد وفاة الأخير، وأصبح كاتب سرها، وأصدرت الجماعة مجلة باسمها طلت تنشر حتى عام 1935، وبينوا في عددها الأول فكرة الجمعية وغايتها.

ومن عوامل ظهور جماعة أبولو تأخر حركة التعليم وتعثر الكثير من الصحف والمجلات، وخلو الساحة الأدبية إلا من المقلدين المحافظين، إضافة إلى موت جماعة الديوان.

أبولو هو ربّ الشعر والموسيقى في الميثولوجيا الإغريقية، فهو ربّ كل شعر وكل فن، لا يفرق في ربوبيته بين مذهب ومذهب، ولعل هذا هو سبب اختيار هذا الاسم، فجماعة أبولو كانت دعوتها جامعة للجميع وإن اختلفت مذاهبهم وثقافاتهم، من أعضائها علي محمود طه، إبراهيم ناجي، أحمد محرّم، محمود أبو الوفاء، جميلة العلايلي، أبو القاسم الشابي...

وأبولو هو ربّ النور والموسيقى والشفاء والنبوءة والشعر عند اليونان، كما أنه يشفي من الامراض ويجيد العزف على آلات الطرب، ويعد أجمل آلهة الإغريق، ولهذا يمثل حاملا قيتارة، كما أن الكتابة الأبولونية التي تنسب إليه تتسم بالرصانة والجدية والاتزان.

جماعة أبولو تقدر الشعر المتجرد والمرسل والحر والرمزي كثيرا ولا تبخس القديم قدره.

دعت الجماعة إلى التعبير عن النفس الإنسانية، وعن فلسفة الألم، وضرورة مزج المشاعر بمرائي الجمال في الطبيعة، وإلى الوحدة العضوية وإلى صدق العاطفة والبعد عن النزيف.

من نقاد الجماعة مصطفى السحرتي ومن كتبه: الشعر المعاصر، شعر اليوم، النقد الأدبي، ووديع فلسطين ومن كتبه: قضايا الفكر في الادب المعاصر، والذي تأثر باتجاهات الجماعة دون أن ينتسب إليها، وعبد المنعم خفاجي ومن كتبه: دراسات في الشعر المعاصر، أصول النقد، وسيد قطب الذي له كتاب النقد الأدبي أصوله ومناهجه.

2/ ملامح التجديد في النقد عند جماعة أبولو:

- التضحية بالوزن والموسيقى والقافية في مقابل فوائد ومزايا فنية جديدة، ووحدة القصيدة أهم من وحدة البيت.
- الصدق الفني الذي نلمسه في المطابقة بين الأدب ومشاعر الأديب وإحساس الجماعة.
- البساطة التلقائية في التعبير والبعد عن التكلف.
- رفض شعر المناسبات والدعوة إلى تنظيم الشعر القصصي والروائي والأقصوصة الشعرية.
- توظيف الخيال الذي يمكننا من فهم العالم الخارجي.

- المزاوجة بين المشاعر والطبيعة وإشراكها ومحاورتها.
- تجسيد الطرح الرومانسي التشاؤمي نظرا لما يعيشه العالم الغربي والعربي.
- ظهور الحب العذري الصافي الذي يظهر فيه الشوق والحرمان والعذاب والألم الدفين.

3/ جهود رواد جماعة أبولو:

اتسمت حركة جماعة أبولو بأنها عمّقت الاتجاه الوجداني للشعر، وانفتحت على التراث الشعري الغربي بواسطة الترجمة من الشعر الأوروبي، ودعت إلى تعميق المضامين الشعرية واستلهام التراث بشكل مبدع، واستخدام الأسطورة والأساليب المتطورة للقصيدة، ولفت الأنظار إلى تجريب أشكال جديدة للشعر المرسل والحر.

أ/جهود مطران التجديدية:

خلق مطران آفاقا جديدة من التأمل والأحاسيس والتصوف، من خلال شعره المنظم والمنثور ومن خلال كتبه ومقالاته النقدية، وما تركه للمكتبة العربية من أعمال روائية ومسرحية مترجمة بأسلوبه الرصين.

دعم مطران وحدة القصيدة وشخصية الفنان ورسالته في الحياة، ولهذا الفنان آفاق الخيال الواسعة ليعبر عن كل شيء في هذا الوجود، ذلك التعبير الذي ينتصر للإنسانية وليس مقتصرا على العواطف الذاتية فحسب

وظيفة الشاعر ليس النظم اللغوي أو الترتيل الإنتهازي، بل عليه أن يكون زعيم الفكر رسول الوجدان وداعية الإصلاح.

ب/ جهود أحمد زكي أبو شادي:

دعا أبو شادي إلى الشعر المُرسل والذي يلتزم فيه الشاعر بحرا واحدا ويتحرر من القافية، حيث تعتبر القافية سدا منيعا يحول بين الشاعر وبين عواطفه، وقد نقل أبو شادي هذا اللون الجديد من الثقافة الإنجليزية، ومن الشعر الإنجليزي الذي نظم على الشعر المرسل مسرحيات شكسبير وفردوس ميلتون المفقود.

يتحدث أبو شادي معبرا عن رؤيته الجديدة فيقول: "وإذا قدرنا ألوان هذا الشعر المتجرد أو المرسل أو الحر أو الرمزي أو السريالي ونحوها، فليس معنى ذلك أننا نبخس الضروب الأخرى من الشعر حقها، أو

ندعو إلى إغفالها، كما يدعو إلى ذلك بعض الأدباء الذين لا يقدرون أن ثروة أي لغة هي بمجموع آدابها، وأن الخير كل الخير في تنويع ضروبها، لا في حصرها".

أشار أبو شادي في أول أعداد مجلة أبولو أن فكرة الجمعية هي السمو بالشعر وغايتها العناية بالشعراء، وإذا كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغذى بأبولو رب الشمس والشعر والموسيقى، فنحن في حمى الذكريات التي أصبحت عالمية بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي وبنفوس شعرائه.

دعا أبو شادي إلى الأصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة وإلى الوحدة التعبيرية والتناول الفني السليم للفكرة والمعنى والموضوع، ودعم وحدة القصيدة، وامتاز شعره بجدة المعاني، وبالانسجام الموسيقي والتحرر البياني، وبالخيال الغربي، وبالتأمل الصوفي، والتعمق الفكري والنفسي والفلسفي، وبشعره الإنساني والقصصي والتمثيلي، وبتوظيف الطبيعة.

4/ قضايا النقد عند جماعة أبولو:

سلكت حركة أبولو مسلكا فريدا من باب النقد الحديث بزحزحة الكثير من القيم التقليدية التي رانت على الإبداع العربي فثبطت مسيرته، بل كانت حركة ممهدة للتيارات الثورية التي شاعت في حقبة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، ونقصد بذلك التيار الواقعي والرمزي، ويعزي ترسيخ مفاهيم الحداثة في باب الشعر داخل الحركة إلى الشاعر خليل مطران الذي شكل لبنة أساسية في انتقال الشعر العربي من حال التقليد إلى رحابة التجديد.

أ/ في الشعر:

حدد أبو شادي مفهومه للشعر في مقدمته لديوانه (الشفق الباكي) قائلا: "الشعر في رأيي هو تعبير الحنان بين الحواس والطبيعة، هو لغة الجاذبية وإن تنوع بيانها، هو أوحدي الأصل في المنشأ والغاية وصفا وغزلا ومداعبة ورثاء ووعظا وقصصا وتمثيلا وفلسفة وتصويرا". فأبو شادي أشار بمفهومه هذا العلاقة الوجدانية بين الإنسان والطبيعة، إذ يعبر الشاعر عن التفاعل بين الحواس ومظاهر الطبيعة، وهو في ذلك متأثر بالرومانسية. وقد فصل أبو القاسم الشابي في هذا التفاعل حين عرف الشعر بقوله: "الشعر... هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار، وفي نسمة الورد الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش، وفي النغمة المرددة يرسلها في الفضاء الفسيح". فالشابي يرى الشعر تصويرا وتعبيرا، تصويرا صادقا لهذه الحياة في كل ميادينها وتعبيرا صحيحا عن تلك الصور.

ب/ الوحدة العضوية:

تحدث أبو شادي عن الوحدة العضوية مؤكدا أن القصيدة وحدة لا يمكن أن ينفصل فيها بين الشكل والمضمون، ويرى القصيدة تقوم على مجموعة من العناصر ومن المستحيل الفصل بينها –وهذا ما أشرنا إليه سابقا– لأنّ الشاعر عندما ينظم القصيدة ينظمها كلا ويتأملها كلا، ولا يتناول عنصرا منها دون الآخر.

يقول في ذلك: "أما أنا قد آمنت –بعد تأمل نقدي طويل في شعري وفي شعر غيري– بأن هناك ما يصح أن يسمى بالتبادل، وهو تعويض الكل للجزء، وكذلك تعويض الجزء للكل، بمعنى أنه يجب نقد الأثر الفني (القصيدة مثلا) كوحدة لا تتجزأ، بحيث يوجه النقد إلى جوهرها ولبها (...) ولا يتأثر الناقد الفني(...) إلا بالجوهر وحده، ولا يكون ما عدا هذا الجوهر إلا معينا على إبرازه". فهو يرى أنّ القصيدة وحدة فنية لها عناصرها المختلفة، غير أنها متماسكة ومتكاملة في الشكل والمضمون.

وفي الأخير ما يسعنا إلا القول أن جماعة أبولو قد حققت غاية النهوض بالشعر العربي الحديث إلى مستوى أكثر ملائمة لروح العصر، بصورة منفتحة، وكان لها تأثير بليغ فيما أتى بعدها من اتجاهات أدبية ونقدية. وقد انفرط عقد المدرسة برحيل رائدها الأول أبي شادي إلى المهجر الأمريكي عام 1946، بعد أن ضاقت به سبل الحياة، وانشأ الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي على انقاض مدرسة أبوبوا (رابطة الأدباء)، واستمرت حتى وفاته عام 1953.

مراجع المحاضرة:

–أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية.

-أحمد شوقي، الشوقيات (الأعمال الشعرية الكاملة)، ج2.

-علي مصطفى صبح، من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبية والنقدية.

-محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه.